عطر شرقي

خلف الجدار الزجاجيّ المطل على البحر، إضاءة خافتة تضيف ملامح غموض مثير. لا أشعر بالجوع، ولكنني أهوى تلك الجلسة!

رائحة البهارات الهندية حين تختلط بعطري الفرنسيّ، فتلتقي أفكاري، وينتعش نبض قلبي، وتملؤني الرغبة بالتمتع بالحياة.

على المائدة المقابلة رجل وقور في أواخر الخمسينيات، يرتدي ملابس كلاسيكيّة راقية، يمتزج فيها الأزرق مع الأبيض، وكوفية بلون سرمدي أنيق. يطلب النادل ويقول له:

عذرًا لم يكن هذا الطبق طلبي؛ فأنا أهوى المذاق تقليديًّا. أنقذت النادل من إحراجه وارتباكه قائلةً:

عفوًا هو لي.

نظر إليَّ طويلًا بعينيه العميقتين كبئر سحيق، شعرت أنني

أسقط، فأسرعت... أنقذني، وتحولت سريعًا لأنغمس في طبقي أتأمله، لتختلط رائحته بأنفاسي، وأغوص في مذاقه، يندمج مع عطري فيمنحني هذا الشعور المثير.

لم يترك لي فرصة بانحناءة رقيقة، فاح منها عطر شرقيّ راقٍ ملأ رئتي لأرفع رأسي، كي أعاود النظر إلى عمق عينيه، يبادرني باعتذار إذا ما سبب هذا الموقف ضيقًا لي:

أنا جاسر. طبيب أسنان. أتمنى خدمتك، مضى تاركًا كارته الشخصيّ.

على الرغم من مرور أيام عدة، فإن حديثه ظل يتردد بمُخيِّلتي كلما جاء وقت الطعام. بإحساس أنثويّ، أبتسم؛ لحيلته في مغازلتي.

حرصت في المرة التالية ألا أذهب وحدي؛ منعًا لفتح باب التساؤل مع نفسي، وإن كانت رائحة عطره لا تزال تفوح من مقعده الذي أصبح مكاني المفضل الجديد!

تأوهت ألمًا من أسناني فجأة بعد تناول مشروب الكوكتيل، بحثت عن كارته الشخصيّ، عنوان عيادته.

obeikandl.com

عيادة تعبّر عن أناقة صاحبها، أناقة غامضة من نوع خاص، سكرتير شاب.. هو الوحيد - عدا الدكتور - من الرجال في المكان؟! رحّب بي، وسألني إن كنت أود الجلوس على مقعده الملتوي؛ وكأنه يعلم مكان الألم، تعامل معي بلطف شديد ومهارة واضحة، وأرسل سهامه إلى قلبي نافذةً بكلّ دقة.

تكرّرت زياراتي بحجة متابعة أسناني، فى حين تمضي اللقاءات وحوارات الإعجاب، فبلغ مني مبلغ الإدمان، اعتدت تناوله يوميًّا، فاق إدماني عطوري الفرنسية والبهارات. مضت أسابيع عدة، فما كان مني إلا أن سألته:

هل للقاء نهاية؟ فأجاب:

نعم هي نهاية تسطر بداءةً لنا معًا.

جاءت إجابته قاطعة، ثمّ استأنف:

لا يجمَعُ النهايةَ والبدايةَ سطرٌ واحدٌ يا عزيزتي؛ فالاختيار واحد دومًا.

إجابة أسقطتني في بئر سحيقة، ارتطمت بقاعها، لكنني لم أستطع النجاة، استسلمت فقط للسقوط، تماسكت، تركته على وعد بلقاء.

كانت تلك عادته، البحث عن مهرة يصحب خطواتها في عبث؛ للفوز بنظرات الحقد عليه من الجالسين. فوز وهميّ بتلك النظرات؛ التي يبلغ بها نشوة كاذبة، يقترب ليمضي تاركًا إياها في بقعة الضوء وحدها؛ تحصد نظرات الحسرة من غدره بها.

على مائدته الغامضة، نثرت قنينة عطري لأمحو أثره، وطلبت طبقي المفضل برائحة بهاراته النفاذة، وأضفت له الصلصة الحارة؛ التي غطت على كل أثر له. عدت لطاولتي. لا شيء معي سوى عطري والبحر وأنا. أبتسم من جديد ويعلو صوت نجاة:

أنا بعشق البحر.